



الرواية الجزائية بين التشكل المختلف والدلالة، خطاب العتبات
- رواية زمن الغربان أنموذجا-

The Algerian Novel between Different Formtions and
Meanings: The Threshold Discourse in the Novel "Time of
Crows"

شرفاوي نورية¹

¹ جامعة أحمد بن بلة وهران 1- (الجزائر)، nouriacherfaoui@yhoo.com

ملخص:

يُعد خطاب العتبات مقوم ثاني من المتعاليات النصية، التي تتعالق وتتقاطع فيما بينها مُشكلة علاقات عبور نصي، لذلك فهي صياغة استعارية لشعرية النص الموازي، اهتم بها الباحثون في غمرة الثورة النصية التي تُعتبر إحدى أهم سمات تحولات الخطاب الأدبي والفكري، حيث لا يمكن الدخول في عالم المتن قبل المرور بعتباته وأولها العنوان الذي يعدّ هاجسًا ملجأً للناس وهو يُقدم نصه للقارئ نظرًا لدوره المهم في العملية الإبداعية، والغواية الإشهارية التي يُثيرها حول النص، لذا فهو جزء لا يتجزأ من استراتيجية الكتابة، وبعدها من أبعاد القراءة في فهم وتأويل النص، يتولى هوية النص ويحمل وظيفته الإيحائية، وقد حمل عنوان الرواية (زمن الغربان) دلالات فكرية والعديد من الشحنات العاطفية والإشارات التاريخية والدينية والاجتماعية، فإلى أي مدى نجح العنوان في الكشف عن الدلالات والرموز الموجودة في الرواية؟

كلمات مفتاحية: العتبات النصية، العنوان، عبور نصي، سيميائية العنوان، القراءة.

Summary:

The discourse of thresholds is considered a second component of textual transcendence, which interacts and intersects to form relationships of

textual crossing. It is, therefore, a metaphorical formulation of the poetic nature of the parallel text. Researchers have focused on it amidst the textual revolution, which is regarded as one of the most significant features of transformations in literary and intellectual discourse. One cannot enter the realm of the main text without passing through its thresholds, the first of which is the title, which is a pressing concern for the author as they present their text to the reader, given its important role in the creative process and the promotional allure it generates around the text. Thus, it is an integral part of the writing strategy and an aspect of reading that aids in understanding and interpreting the text. The title of the novel "The Time of Crows" carries intellectual connotations and numerous emotional charges, as well as historical, religious, and social references. To what extent does the title succeed in revealing the meanings and symbols present in the novel?

Keywords: textual thresholds, title, textual crossing, semiotics of the title, reading

1. مقدمة:

أولى النقد الحديث النص الموازي عناية خاصة، وظهرت عدّة دراسات تأسيسية تلتفت إلى عناصره وفلسفاتها، وأنواعه وتشكلاتها، وعُدّت العتبات النصية أهم هذه العناصر حيث أنّها تفضي إلى النص الرئيسي بإشارات ذات إichاءات دالة، تسهم في فهم النص وتحليله وفك رموزه، ولذلك شرع الدارسون يلتفتون إليه يسائلون آلياته ويستنطقون إشاراته، وقد بدأ الاهتمام به لدى الغرب خصوصاً في فرنسا منذ الثلث الأخير من القرن الماضي، يتصدرهم جيرار جنيت Gerard Genette في كتابه الموسوم بـ « عتبات Suils »، وليوهوك Leo Hock في كتابه « سمة العنوان La marque du titre »، وفيليب لان Philippe lane في كتابه « النص المفضل La périphérie de texte » وغيرهم...

ولأن النص الأدبي خاضع للتقاطع مع مجموعة من النصوص أو بما يسمى التناس بجميع أنواعه التي حددها جيرار جنيت، وجوليا كريستيفا والتي أثبتت أنه ليس هناك نص عديمي يخلق نفسه بنفسه، وإنّما هناك ما سماه جيرار بالتطريس Palimpsestes، بمعنى أن الكتابة الأخيرة ما هي إلا حلقة تلتحم بسلسلة من الكتابات السابقة، وعليه فإنّ للنص أو المتن علاقات خارجية تربطه بمحيطه المادي، وهي ما يسمى بـ « Paratext » أو النص الموازي، الذي يساعد في فهم النص ويبيّن كيف تتفاعل الأعمال الأدبية مع بعضها البعض متأثرة بالمووروث الثقافي والتاريخي، هي إذن مجموعة من العلاقات التي تربط المتن بالغلاف الخارجي والعنوان والإهداء أو المقدمة والاستشهادات والاقتباسات والملاحق والمشمّل والصور

الداخلية... إلخ، التي تشكل كل واحدة منها عتبة من عتبات الرواية، ومن هنا نطرح الإشكال التالي:

إلى أي مدى تمثل العتبات النصية مفاتيح تأويلية تساعد القارئ على استكشاف دلالات النص وفهم بنيته الغميقة في المجال السردي؟

حيث يتفرع عن هذا الإشكال مجموعة من التساؤلات أهمها: هل العتبات النصية تخدم المتن وتيسر الولوج إليه، وتثير أفق الانتظار لدى القارئ؟ أم أنها مجرد ديكور مجرد من كل دلالات فنية يستوي وجوده من عدمه؟ ثم إلى أي مدى تحقق الانسجام بين المتن ومحيطه لتكون رسولا إلى القارئ فتكون بذلك خريطة توجه مغامرة القارئ في قراءته للمتن؟ وما دورها في إضاءة زوايا النص، وكشف غوامضه؟ وإلى أي مدى تذهب بالقارئ في خوض مغامرة التأويل ليحصل التفاعل الأساسي بين النص ومتلقيه؟

وقد حاولنا من خلال هذه المداخلة الإجابة على هذه الإشكالات من خلال رواية جزائرية للروائي جيلالي خلاص، وهي رواية زمن الغريبان، لأننا وجدناها تزخر بما يغني البحث ويفتح أبواب ثرة للبحث والتطبيق متبعين في ذلك المنهج السيميائي لمقاربة هذه العتبات في الرواية لكونه الأكثر استجابة ومرونة في تجاوز سيميائية العلامة اللغوية إلى سيميائية تأويلية تهتم بكل الأنساق الدالة سواء تعلق الأمر بالصورة وخطاب الألوان والرموز.

2. العناصر السيميائية:

1.2 سيميائية العتبات:

يُعتبر خطاب العتبات مقومًا من المقومات الخمسة المكونة لما أسماه جيرار جنيت بـ *Transtextualité palimpsestes* أي المتعاليات النصية الذي تحدث عنها في كتابه أطراس، حيث تتعالق فيما بينها لتشكّل علاقات عبور نصي، وقد استطاع جيرار جنيت خاصة في عتبات 1987 أن يضع مصطلح المناص *paratexte* كنص موازي للنص الأصلي، وبهذا نستطيع أن نعد المناص جامع النصوص وعلامات مقتضبة تجتمع وتتعاقد لتقوية وتوضيح النص الأساس تدور في فلكه وتفسر معانيه ودلالاته.

وبذلك فإن خطاب العتبات عبارة عن صياغة استعارية لشعرية النص الموازي أو المناص، وفي غمرة الثورة الصناعية التي تعتبر إحدى أهم سمات تحولات الخطاب الأدبي والمعرفي تؤكد أنه لا يمكن ولوج عالم المتن إلا بالمرور بعتباته وأولها:
أ- الغلاف ووظائفه:

الغلاف ليس مجرد عنصر جمالي بل هو علامة سيميائية تحمل دلالات ثقافية، نفسية وتجارية، ومن شروط تصميم الغلاف أن يكون قادرًا على جذب وإثارة انتباه القارئ، ولتحقيق هذه الغاية فإنه يتطلب التناسب والمرونة البصرية، لتحقيق أفضل تمركز بصري من شأنه التحكم في حركة العين نحو الأحجام الكبيرة والأشكال البارزة والصّور المحفزة والألوان المثيرة، ومن وظائفه:

➤ الوظيفة الإغرائية (fonction d'attraction): يهدف إلى جذب القارئ وإثارة اهتمامه من خلال التصميم، الألوان والصور المستخدمة، استخدام الألوان الداكنة مثلًا في روايات الرعب لإيصال جو التشويق والغموض.

➤ الوظيفة التأويلية (fonction interpretative): تساهم في تشكيل فهم أولي للكتاب، حيث يمكن أن يكون الغلاف قراءة بصرية لموضوع النص كما هو الشأن في الروايات الفلسفية

➤ الوظيفة التوجيهية (fonction orientative): يقدم الغلاف للقارئ مؤشرات حول محتوى الكتاب، كالعنوان، اسم المؤلف والصورة الغلافية مما يساعد على فهم الإطار العام للنص.

➤ الوظيفة التجارية (fonction commercial): وهنا يستخدم الغلاف كأداة تسويقية في دور النشر حيث يفهم بطريقة تجذب فئة مستهدفة، ففي الرواية الرومانسية مثلاً غالباً ما تُستخدم صور لشخصيات حاملة وألوان دافئة لجذب القراء المهتمين.

ب- العناصر السيميائية للغلاف:

- الصورة: قد تكون تجريدية، رمزية، أو تمثيلية لموضوع النص.
- الألوان: تلعب دوراً نفسياً في التأثير على القارئ، كاستخدام اللون الأحمر للإثارة، واللون الأسود للغموض.

• الخطوط والتصميم: كثيراً ما تعكس طبيعة النص فالروايات الكلاسيكية تميل لاستخدام خطوط تقليدية، بينما الكتب العصرية تعتمد على تصميم يميل أكثر للحدث.

• العنوان والمؤلف: يشكلان جزءاً من العتبات النصية التي تقدم معلومات أولية عن الكتاب.

وبالتالي لا يمكن النظر إلى الغلاف كعنصر منفصل عن النص، بل هونص مواز يؤثر على التأويل والاستقبال، وإنه أول لقاء بين القارئ والكتاب، حيث يشكل إنطباعاً أولياً كونه حاسماً في قرار قراءته، لذلك يبقى استخدام العلامة غير اللغوية (صور-رسوم-رموز... إلخ) استخداماً فعالاً ومحفزاً على أساسه تتجلى أبعاد التواصل مع العمل الروائي، ويتجسد ذلك في الغلاف من خلال العنوان الرئيسي، والفرعي، والإشارات اللغوية الدالة لجنس المتن وكذا من خلال اسم المؤلف لما يمثله من حمولة معرفية وفكرية.

2.2- قراءة في غلاف رواية زمن الغربان:

تكون البداية مع غلاف الكتاب، فأول ما يقع عليه بصرنا هو وجود اسم المؤلف (جيلالي خلاص) يتوسط أعلى الصفحة بخط أبيض متوسط الحجم.

أ- دلالات امتزاج اللون الأبيض باللون الأسود في الرواية سيميائياً:

إن اختيار اللون الأبيض لكتابة عنوان زمن الغربان يحمل دلالات متناقضة ومتعددة يمكن قراءتها ضمن سياق الرواية ورمزيتها، فالعنوان يضم كلمة الغراب وهو طائر يرتبط عادة بالسواد، يرمز للموت والعتمة والفال السيء، أما اللون الأبيض فعلى العكس يرمز للصفاء، البراءة والأمل، هذا التناقض يخلق مفارقة بصرية ودلالية: فنحن أمام زمن يسوده السواد (الغراب)، مع وجود الأمل (الأبيض)، قد يكون تلميحاً سيميائياً إلى صراع بين قوتين متناقضتين في الرواية، الخير والشر، الحياة والموت، الأمل واليأس.

ب- دلالات امتزاج اللون الأحمر باللون الأسود في الرواية سيميائياً:

إن إمتزاج اللون الأحمر (الذي يرمز إلى الطاقة، العاطفة والخطر) باللون الأسود (الذي يرمز إلى الغموض، الموت والقوة)، تتولد معاني سيميائية قوية ومتضادة، مما يجعل هذا التداخل لوناً محملاً بالدلالات العميقة والمكثفة، ففي رواية زمن الغربان يكتسب اللونان

الأحمر والأسود دلالات رمزية عميقة تعكس مضامين الرواية وأحداثها الدرامية ويمكن تصنيف هذه الدلالات إلى:

- اللون الأحمر: رمز الدم والصراع

يمثل العنف، الثورة والمقاومة وهو حاضر بقوة للإشارة إلى الدماء المسفوقة نتيجة صراعات العُشيرية السوداء، وما تحمله من آلام ومعانات ذاق مرارتها المجتمع الجزائري.

- اللون الأسود: رمز الموت والظلم

يرتبط بفكرة الغربان الواردة في العنوان والتي ترمز إلى التشائم، الموت والخراب، وفيها تعبير عن الظلم حيث تُسيطر القوى القمعية على مصير الأفراد.

- امتزاج اللون الأحمر والأسود:

في الرواية يوجد تقابلا واضحا بين الأحمر (الدم، المقاومة، الغضب) والأسود (القمع، الموت، الظلم)، هذا التقابل يعكس الصراع القائم في الرواية حيث تتداخل معاني الألم والتمرد مع واقع القهر والدمار.

3.2- قراءة لما تحمله صورة الرواية:

1- الأيقونة الأولى:

أ- اسم المؤلف: لأن المؤلف جيلالي خلاص هو صاحب السلطة على هذا العمل كلن اسمه في بداية الغلاف فذكر في الأعلى نسبيا، إنه يرمز لنسبة هذا العمل لصاحبه ومالكه، كما أنه أيضا علامة تجارية بالنسبة للناشر تقوم هذه العلامة بتسويق الكتاب ودعوة القارئ لاقتنائه وقراءته حيث أن اسم المؤلف له دور فعال في عملية التسويق، كما إن وجود الاسم كما هو جيلالي خلاص دون كنية أو لقب دليل على قدرة هذا الاسم على إثبات حضوره لدى المتلقي كونه لوحده يُغني، وهذا دليل على شهرته ومكانته العالمية، إن تساؤل ميشال فوكو عن المؤلف كان مناسبة إذ ن من هذا المنظور الفلسفي تحدد أهمية ذكر المؤلف في أي عمل أدبي، لذلك عدّه جيرار جنيت " من بين العناصر المناسية المهمة"¹، لا يمكن تجاهلها حيث يظهر في أعلى صفحة الغلاف بخط بارز، له عدة وظائف منها: وظيفة التسمية، وظيفة الملكية، والوظيفة الإشهارية.

لذلك يرى فوكو على أنه "يطوف نوعًا ما على حدود النصوص، يقطعها... فاسم المؤلف إذن هو العلامة المعقدة تبين وجود مجموعة من الخطابات من خلال خيوط دقيقة

الرواية الجزائرية بين التمثل المختلف والحالة، خطاب العتبات - رواية زمن الغربان أنموذجاً -
المجلد الرابع عشر / العدد الثاني / جوان 2025

تشكل مبدأ وحدتها الكتابية²، وجيلالي خلاص الذي يُعدّ من أهم الروائيين الجزائريين حيث تتميز كتابته الروائية بطابعها التجريبي من خلال تلك القدرة الفائقة على التجدد من نص إلى آخر، وهو الذي قال له الروائي المشهور السوداني الطيب صالح "اطمئن يا جيلالي، أنت اليوم روائي كبير"³، وقال فيه أيضاً جمال الغيطاني "أعرف في الجزائر كاتبها الكبير جيلالي خلاص"⁴.

ب- سيميائية العنوان الرئيسي: لقد عدت العنوان هاجساً ملجأً للناس وهو يقدم نصه للقارئ نظراً للدور الخطير الذي يمارسه في العملية الإبداعية، والغواية المثيرة التي يثيرها حول النص فهو إذا استراتيجية مهمة في الكتابة وبعداً للقراءة "فالعناوين التي نستعملها اليوم ليست هي العناوين التي استعملت في الحقبة الكلاسيكية، لقد أصبحت موضوعاً صناعياً لها وقع بالغ في نفوس المتلقين..."⁵

وكان عنوان الرواية التي وقع اختيارنا عليها زمن الغربان، حيث يفاجئنا الروائي بعنوان يحمل الكثير من الدلالات الفكرية والسياسية، والعديد من الانطباعات النفسية التي تسبح بنا في عالم الغرائبية، يتشكل من كلمتين زمن والغربان كتب بخط كوفي أبيض عريض في أعلى الصفحة تحت اسم المؤلف على خلفية امتزج فيها اللون الأسود والأحمر وعلى نفس الخلفية التي كتب عليها اسم المؤلف، و"بهذا الشكل، وهذا الوضوح وبهذا اللون والخط المتميز يدل على أهميته مما يطرح عند القارئ عدة تساؤلات وأفق انتظارات شتى..."⁶. فالعنوان بحسب جيرار جنيت "كما اسم المؤلف، لغرض الإحاطة والاتصال عكس النص لغرض القراءة"⁷، فهو هنا يميز بين متلقي عنوان الكتاب ومتلقي الكتاب نفسه، حيث يشمل الجمهور كل العاملين على الكتاب، لكنهم لا يقرؤونه بالضرورة، أو لا يقرؤونه كاملاً، كالناشرين والمحريين ووكلاء المبيعات وغيرهم، فهؤلاء تختص وظيفتهم على جعل القراء يقرؤون النص وليسوا مطالبين بقراءته، لذلك تعطى أولوية بالغة لعنوان الكتاب، سواء من طرف صاحب العمل المؤلف أو من طرف الناشر فيبدع المؤلف في اختيار العنوان المناسب للمتن ولمقصدية كما يبدع الناشر في اختيار العنوان المناسب لجذب انتباه الزبون وإغرائه بالشراء، وقسم كل من كلود وليو هيوك العنوان ثلاثة أقسام:

- العنوان الأصلي.

- العنوان الثانوي.

- العنوان الفرعي.

ج- **العنوان الثانوي:** هو عنوان شارح وموجه لعنوانه الرئيسي أما العنوان الفرعي فهو محدد لجنس العمل وهو ما نجدّه تحت العنوان الرئيسي مثل: (رواية-قصص-مذكرات...)، وهنا نجد الكاتب قد وظف العناوين الثلاثة: العنوان الرئيسي (زمن الغربان)، العنوان الثانوي (حركة الخبزة)، والعنوان الفرعي المبين لجنس العمل (رواية) وهو تجنيس مجرد للعمل الروائي وكأنه في ذلك متأثراً بما ذهب إليه بلانشوبهولامية الأنواع.

4.2- الدلالة السيميائية لعنوان الرواية:

أ- دلالة لفظة زمن:

هي عنصر متعدد الأوجه، ينظم السرد، ويحمل رموزاً فلسفية تتعلق بفناء الحياة وتجديدها، ويربط بين الماضي والحاضر والمستقبل، كما أنه يعبر عن التحولات النفسية للشخصيات. ومن هنا يتحول الزمن إلى مرآة تعكس رحلة الإنسان في بحثه الدائم عن المعنى والهوية، تختلف تأويلاتها الرمزية بحسب طبيعة الرواية ومناخها السردية.

ب- دلالة لفظة الغراب:

الغراب في السيميائيات الثقافية رمز معقد يحمل دلالات متناقضة منها

- التشاؤم والموت: في العديد من الثقافات الغراب مرتبط بالفقدان، الدمار والموت.
- الخراب والفوضى: يربط البعض الغراب بالخراب الذي يحل بالمكان فهو طائر يعيش في البيئات المهجورة أو بعد الكوارث.
- الحكمة والمعرفة: في بعض الثقافات، الغراب رمز للذكاء والمعرفة الغامضة كما في الأساطير الاسكندنافية، حيث كان الغراب مرافقاً للإله أو دين.

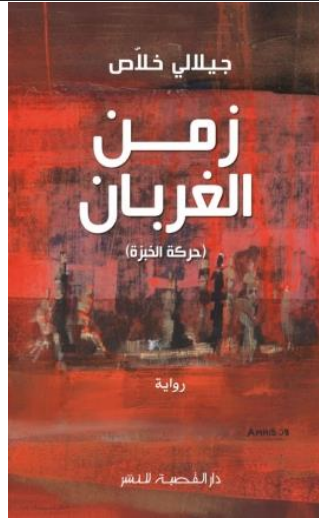
فإن التأويل السيميائي العام للعنوان **زمن الغربان** قد يشير إلى تبعثر الغربان مما يفتح الباب أمام قراءات تتعلق بالنهاية أو التلاشي، وربما تلميح إلى سقوط قوى الشر أو الخراب، كما يمكن أن يدل على صخب الغربان أي حضورها الطاغي، ممّا يوحي بمناخ من التوتر والدمار، وهي هنا إسقاط على واقع الجزائر في فترة العشرية السوداء حيث يرمز الغربان إلى قوى القمع أو الفوضى، فزمن الغربان هو عنوان سيميائي مفتوح الدلالة يجمع بين

الرواية الجزائرية بين التمثل المختلف والحالة، خطاب العتبات - رواية زمن الغربان أنموذجاً -
العدد الرابع عشر / العدد الثاني / جلد 2025

الغموض، الدمار والصخب، مما يجعل القارئ يتساءل عن طبيعة الغربان ودورها في الرواية،
إنه عنوان محمل بالإحياءات ويمهد لمناخ سردي قد يكون مليئاً بالمآسي أو التحولات الكبرى.
5.2- المبدأ التداولي والتواصلي:

➤ أيقونة الصورة:

هذه الأيقونة الأكثر أهمية، إنها تحتل فضاء في غلاف الرواية، حيث شملت الصفحة
كلها، وأول ما يميز هذه الصورة هو لونها القرميدي مع الرمادي والأسود الذي يحيل على لون
الصحراء غير واضحة الملامح، وقبل ان نحاول قراءة الصورة وتلمس ما توحى به من معان
وما تحمله من رسائل، هي صورة غامضة، تجريدية، تشمل مجموعة من الأفراد متجمعين،
فمنهم من هو قائم ومنهم من هو جالس على الكرسي، ويبدو أنهم محتجزون ومحيطون
بالحرّاس في مكان غريب، مهجور، لا يحمل ملامحاً تشعرك بالاطمئنان والهدوء دون أن يركز
الرّسام على الشكل واللباس ولا حتى المحيط الموجودون فيه، صورة توحى بالغرابة والوحشية،
خلاء مترامي الأطراف، تعكس جوّ الاعتقال والخوف، يختفون وراء
بعضهم البعض، تعبير بلونها الأسود على الحدّاد كما هو شائع في الثقافة العربية.
الغلاف هو عبارة على لوحة فنية للرّسام جميل أمحيس تعبر عن الصراع المير الذي
يعانيه الإنسان ضدّ قوى متعددة، ضدّ الاستعمار وقطاع الطرق، ضدّ الطبيعة الوعرة، ضدّ
المتربصين الأعداء، لكن في الأخير الانتصار يكون للإنسان.



العنوان: غلاف رواية زمن الغربان، جيلالي خلاص.

6.2- سيميائية عناوين الفصول:

"عناوين الفصول لا تقل أهمية عن العنوان الأصلي للمتن الحكائي، بل هي امتداد لما يحول إليه من دلالات تداولية"⁸، تنهض بنفس الوظائف التي يقوم بها الخطاب العنواني، هذا علاوة على الوظيفة الوصفية باعتباره يُكرر في الفهرس، فعناوين الفصول ترسخ العنوان، إنها جزء من النص، علاقته به عضوية (فصوله وأبوابه) فهي توجه النص وفصوله، تستقل عنه لتتربص على عتبات أبوابه متسللة إلى أعماقه ومحددة لأفاق انتظاره "فالعناوين الداخلية باعتبارها بنى سطحية، هي عناوين واصفة، شارحة لعنوانها الرئيسي باعتباره بنية عميقة، فهي أجوبة مؤجلة لسؤال كينونة العنوان الرئيسي، لتحقيق بذلك العلاقة التواصلية بين العناوين الداخلية والرئيسية للنص، بانية سيناريوهات محتملة لفهمه"⁹.

إنّ استراتيجية العنونة في الروايات الحداثية تقوم على التكتيف الدلالي والإثارة والمفارقة والتناص وتفصيل البعد البصري لموطن العنونة باعتبار العنوان "يشكل تساؤلاً ويخلق انتظاراً"¹⁰، هي مفاتيح الدخول لكل فصل، وقد سبقت قراءتنا لعنوان الرواية الأصل -زمن الغربان- والدلالات والمعاني التي يحملها والأسئلة التي يطرحها وأفق الانتظار الذي يرسمه، فكان العنوان بحق أحسن علامة وأبرع دليل على المتن الذي يليه، أما العناوين الفرعية فقد قسمها إلى أحدا عشر عنواناً (بداية أغسطس 2072، شتاء 2070، منتصف

الرواية الجزائرية بين التمثل المختلف والحالة، خطاب العتبات - رواية زمن الغربان أنموذجاً -
المجلد الرابع عشر / العدد الثاني / جوان 2025

أغسطس 2072، موقعة الكبش، نهاية ربيع 2070، الإقامة بالثكنة، عبد السلام بالكروش،
خريف 2072، ويمضي الزمن مسحاً حاداً، قضية ثامر، غياب الذئب في ليل بركسة).

أ-دراسة عناوين فصول الرواية سيميائياً:

والآن نحاول تتبع هذه العناوين ودراستها أفقياً وعمودياً لتتعرف على دلالاتها
والتسميات التي تحملها والحمولات الفكرية والمعنوية التي يزخر بها كل العنوان باعتبارها
علامة توجه النص، وتحقق أفق انتظاره، وتدخل في علاقة جدلية مع مكوناته ومكوناته،
وفيما يلي اخترنا عناوين لهما الصيغة التعريفية التعينية.

1- دراسة العناوين ذات التركيب الإفرادي:

✓ من شتاء 2070: هو أول العناوين الفرعية الفردية يبدأ من الصفحة الواحد
والخمس إلى الصفحة واحد وثمانين أي يشمل حوالي ثلاثين صفحة، يبدأ الروائي تصدير
هذا الفصل بما يلي "طوال الليل لم ينقطع المطر، كانت قطراته تنقر زجاج النافذة...قراع
مشؤوم، غاضب، جائع، ثم ضاعفت العاصفة عنفها شيئاً فشيئاً"¹¹، ويمكن تحليله وفق
الدلالة التالية.

-الشتاء- يعتبر فصل الشتاء في الأدب رمزا غنيا ومتعدد الأبعاد، يجسد حالة من
السكون والجمود المؤقت، يثير مشاعر الوحدة والتأمل، لكنه يحمل في طياته أيضا وعدا
بتجديد الحياة وبداية جديدة، هذه الدلالات تُثري النص وتُضفي عليه عمقا فلسفيا ونفسيا
يعكس التقلبات الداخلية للشخصيات والصراعات التي يعيشونها، كما يعكس دلالة العقاب
والهول والفرح من خلال رياحه العاتية لقوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَارًا فِي أَيَّامٍ
نُجَسَّاتٍ لِّنُذِقَهُمْ عَذَابَ الْخُزْي فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلِعَذَابِ الْآخِرَةِ أَحْزَى وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ﴾¹²
[فصلت، 16]؛

انطلاقاً من أن الاسم هو الذي يوسم الشيء، فإن السارد قد وفق في اختيار العناوين
المناسبة للدلالة، كونه يتحدث عن المعاناة والحرب الأهلية التي يبدو أنها ستطول"، اندلعت
الحرب الأهلية في بركسة منذ عامين ولا أحد يدري غير الرب متى تضع أوزارها....."¹³، إذا
فالعنوان شتاء كان هو فعلاً الحامل لكل ما تحمله الرواية من معاني الحرب والدمار والحرق
والاضطراب وديكتاتورية عبد السلام بالكروش، إن أول لوحة في المشهد تصادفنا: كان الوقت

ليلا، ممطرا، داخل، غرفة مظلمة بها نافذة تنقره ازخات المطر، أعقبها رياح عاتية كادت تقتلع جدران البيت لدرجة تطاير قطع القرميد، وتخلخل أبواب ونوافذ بيت مكون من طابق واحد وكأنها جيش عرمرم. هكذا وصفها الطيب عامر الشخصية البارزة في هذه الرواية، بل وكأنها مدافع هاردة تغم النفس وترعها لدرجة تكاد تقتلها، سيول طوفانيه جرفت خضراوات الطيب عامر التي طالما تعب في زرعها والاعتناء بها، كلها احياءات يحملها لفظ شتاء فكان السمة التي طبعت الرواية وكانت محور محرك لجميع الأحداث.

✓ خريف 2027: وهو عنوان فرعي آخر يبدأ من الصفحة مئة وخمسة وستين حتى مئة وأربعين، عرض لنا مشهدا يحمل اللوحة التالية "ضوء صديفي يغلق الزوايا ويميز منحنياتها وقممها لكانه غروب ذهبي غامق يلّمع رؤوس براكسة..."¹⁴، هي لوحة جميلة تحمل مشهدا يريح النفس ويبعث فيها شيء من الراحة والاطمئنان بعد شتاء عاصف كاد يدمر أهل البراكسة، إلى هنا والوضع هادئ إلى حد ما وأقصد ههنا الهدوء النفسي، حيث يصور لنا المشهد ناديا ليليا به أجواء الرقص والطرب والخمر، لكن فجأة ينقلب المشهد إلى توتر ثم صراخ وخوف: "صاحت الباترونه خيرة صاحبة نادي المكتوب العسكر، عسكر عبد السلام جاو، همهمة شفاه مرعوبة، أزيز كراسي... ثم سكوت مطبق"¹⁵، هذه أجواء فصل الخريف تجعلك لا تطمئن مستمرة، التقلبات، قد يكون الجو مشمساً وفجأة ينقلب إلى رياح أو أمطار، تقتلع الأوراق وتنشرها بين الأماكن، فيتغير معها شعور المرء، وهذا ما حدث بالضبط بعدما بدأ السمر والرقص والهيصة، فجأة يلف المكان سكوت أشبه بسكوت الموتى ويتحول معه جو الفرح والأنس إلى جو الخوف والرعب من جراء اقتحام عسكر عبد السلام للنادي، وهكذا جاء العنوان رمزا مناسباً للدلالة على التحولات والاضطرابات النفسية لشخصيات الرواية.

2- دراسة العناوين ذات التركيب الإضافي:

العنونة بالإضافة تختلف عن العنونة الفردية، إنها تحيل إلى اسمين أحدها نكرة والثاني معرفة، والأول لا يُعرف إلا بالثاني، وبالتالي نكون أمام علامتين لغويتين، إذ العلامة حسب تصنيف بيرس تنقسم إلى ثلاث أنواع: العلامة باعتبارها أيقونة، والعلامة باعتبارها مؤشراً، والعلامة باعتبارها رمزاً... ولذلك أفردت هذه المجموعة من العناوين والتي احتلت حيزاً في الرواية، ومنها:

✓ الإقامة بالثكنة: هو العنوان السادس في الرواية، يستخدم الروائي، ليوظفها كرمز سيميائي مع المناخ العام للرواية التي تتناول حقبة العنف والاضطراب السياسي في الجزائر.

- الثكنة كرمز للقمع والسيطرة: الثكنة ليست مجرد مكان عسكري، بل هي فضاء مغلق يمثل القيد والسلطة والانضباط القسري. كما توحى بأن الشخصيات تعيش حالة إجبارية من العزلة والخضوع داخل منظومة قمعية في سياق العشرية السوداء، ترمز إلى هيمنة العسكر أو المجموعات المسلحة، المسيطرة على الحياة اليومية

- الثكنة كفضاء للخوف والتوجس: هي ليست مكان مريح بل هي مكان للخوف، حيث يكون الأفراد مراقبين باستمرار، هي حالة طوارئ دائمة، لتصبح رمزا للحصار العسكري، وهي أيضا رمزا لمكان مغلق قد تكون مجازا للسجن، حيث يصبح الجميع أسرى للظروف السياسية القاسية.

✓ ويمضي الزمن مسحاً حاداً: توحى هذه الجملة بصور كثيفة تعكس حركة الزمن وتأثيره القاسي على الإنسان والحياة، ومن خلال تفكيك عناصرها الأساسية وجدناها ترمز إلى:

- الزمن كعامل استنزاف نفسي وجسدي: في الرواية يعيش الأفراد تحت وطأة العنف والقمع مما يجعل مرور الزمن ليس مجرد انتقال طبيعي بل عملية استنزاف مؤلمة، وهو ما يتطابق مع المعاناة العميقة التي تمر بها الشخصيات في ظل الصراع الدموي.

- الزمن كأداة قهر ووجع: المسحاج هو أداة تُستعمل للكشط والصقل العنيف مما يعني أن الزمن في الرواية لا يترك الأشياء كما هي، بل يغيرها بعنف ويجردها من هويتها الأصلية، وهذا ما يتناسب مع الحالة الاجتماعية والسياسية المضطربة التي تناولتها الرواية.

- الزمن كتاريخ دموي لا يرحم: في سياق زمن الغربان التي تناولت عنف العشرية السوداء في الجزائر، فإن الزمن لا يمر كذكرى بل يُعيد نفسه بشكل مؤلم ومدمر، فيصبح المسحاج هنا تشبيه لآلة التاريخ التي تعيد تشكيل مصير الأفراد بقسوة.

فالعبرة إذن ويمضي الزمن مسحاً ليست مجرد وصف زمني بل تشخيص للحالة القاسية التي يعيشها المجتمع الجزائري، وبالتالي نستطيع أن نصل إلى نتيجة مفادها أن هذه

العناوين تعداد جيني لمادة الكتاب يضطلع بعدة وظائف تيمائية، إقناعية، إخبارية، إشهارية، تعاقدية... ثم إنّ هذه العناوين تدخل في السياق السوسيوثقافي للمتن الحكائي.

3. خاتمة:

لقد أغنى درس العتبات الساحة النقدية في رواية زمن الغربان بمفاتيح تأويلية تساعد القارئ على استكشاف دلالات النص وفهم بنيته العميقة، فمن خلالها يرسم الجليلي خلاص إطارًا دلاليًا يُمهّد للدخول في عالم الرواية، حيث يصبح كل عنصر أداة توجيهية تُسهّم في تشكيل توقعات القارئ وتأويلاته، حيث أعطت النص امتدادات وفضاءات شتى، تسمح بفتحة كبيرة للمناورة والتأويل، ومحاولة القبض على الدلالة والمعنى المنتشر في تضاريس النص ومحيطه، فيضع بذلك مناخات تلقّيه، وبالحديث عن عتبة العنوان فإن العنوان هنا جاء اختصارًا للمتن الروائي، والقضية التي يعالجها قضية (زمن الغربان) (حركة الخبزة)، فالزمن هنا هو زمن الغربان وليس غراب واحد، رمز الشؤم بلونه الأسود الذي لا يبشر بالخير. أما العناوين الفرعية فجاءت لتضيء الفصول وتخدم المتن، ذات المعاني والدلالات الموحية المؤثرة، ناهيك على عالم الأيقونات والصور والرسومات الموجودة على صفحة الغلاف فقد شكّلت مساحة ذهنية واسعة لإيصال الفكرة الرئيسية عن طريق قناة بصرية غير لفظية، لتفتح أفق القارئ المتلقي لشتى التأويلات وتوليد أنواعا من الدلالات الموحية والمؤثرة، لها صداها في جوانب النفس والفكر، وهذا ما جعل جليلي خلاص يختار لوحة فنية معبرة للرّسام جميل أمحيس، وهذا ما عكس اهتمامه بالفن والرسومات خاصة مما جعلها تخرج في هذه الحُلة الفنية الجميلة بأيقوناتها.

وفي الأخير، إن قراءة أي متن دون التوقف عند العتبات ودون استلام الشفرات المفتاحية منها تعدّ عملية محفوفة بمزالق المعنى وانحرافات دلالاته.

مراجع البحث وإحالاته:

¹ - نبيل منصر، الخطاب الموازي للقصيدة العربية المعاصرة، دار توبقال للنشر، 2007، ص 37.

² - ملتقى الرواية، القاهرة، مصر، 2005.

³ - حوار بجريدة الوطن الجزائرية، الجزائر، 2011.

الرواية الجزائرية بين التمثل المختلف والدلالة، خطاب العتبات - رواية زمن الغريان أنموذجاً -
العدد الرابع عشر / العدد الثاني / مجلد 2025

⁴ - كاميليا عبد الفتاح، الشكل الطباعي ودوره في تشخيص الدلالة في القصيدة العربية المعاصرة، مجلة علامات في النقد، النادي الثقافي الأدبي، جدة، المملكة العربية السعودية، 2009، ص 359.

⁵ - Voir: G. Gnette, Seuils, p73

⁶ - مجموعة من الباحثين، الرواية المغربية وقضايا النوع السردى، أعمال الندوة الأدبية، جامعة ابن طفيلية، القنيطرة، 2008، مقال لسعيد يقطين بعنوان سؤال الأنواع السردية في الرواية المغربية، ص 28.

⁷ - بلعابد عبد الحق، عتبات جبرار جنيت، الدار العربية للعلوم ناشرين، منشورات الاختلاف، بيروت، لبنان، 2008، ص 75.

⁸ - خالد حسين، في نظرية العنوان مغامرة تأويلية لشؤون العتبة النصية، دار التأويل للتأليف والترجمة والنشر، دمشق، سوريا، ط 1، 2007.

⁹ - جيلالي خلاص، زمن الغريان، دار القصبة للنشر، الجزائر، ماي 2018، ص 53.

¹⁰ - الرواية، ص 15.

¹¹ - نفسه، ص 165.

¹² - القرآن الكريم، سورة فصلت، الآية 16.

¹³ - الرواية، ص 106.

¹⁴ - نفسه، ص 123.

¹⁵ - نفسه، ص 195 – 196.

5. قائمة مراجع البحث:

- القرآن الكريم، سورة فصلت.

- بلعابد عبد الحق، عتبات جبرار جنيت الدار العربية للعلوم ناشرين منشورات الاختلاف، بيروت، لبنان، 2008.

- جيلالي خلاص، زمن الغريان، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2018.

- حسين خالد، في نقد العنوان، مغامرة تأويلية في شؤون البنية النصية دار التأويل للتأليف والترجمة والنشر، سوريا، 2007.

- كاميليا عبد الفتاح، الشكل الطباعي ودوره في تشخيص الدلالة في القصيدة العربية المعاصرة، مجلة علامات في النقد، النادي الثقافي الأدبي، جدة، المملكة العربية السعودية، 2009.

- مجموعة من الباحثين، الرواية المغربية وقضايا النوع السردى، أعمال الندوة الأدبية، جامعة ابن طفيلية، القنيطرة، 2008.

- ملتقى الرواية، القاهرة، مصر، 2005.

- نبيل منصر، الخطاب الموازي للقصيدة العربية المعاصرة، دار توبقال للنشر، 2007.